

السيرة الذاتية في مجموعة ذاكرة محلة

للقاص فاضل محمد عبد الله

أ.م. د. علي أحمد محمد العبيدي

مقدمة :

مشكلة البحث :

تكمّن مشكلة البحث في تحديد ملامح السيرة الذاتية في مجموعة (ذاكرة محلة)
للقاص فاضل محمد عبد الله

هدف البحث :

يهدف البحث إلى قراءة السيرة الذاتية في مجموعة (ذاكرة محلة) للقاص فاضل
محمد عبد الله

أهمية البحث :

تكمّن أهمية البحث في الكشف عن السيرة الذاتية في مجموعة (ذاكرة محلة)
للقاص فاضل محمد عبد الله

حدود البحث :

تحدد البحث بقراءة المجموعة القصصية (ذاكرة محلة) للقاص فاضل محمد عبد
الله.

هيكلية البحث :

التمهيد: فاضل محمد عبد الله (عندما تتكلّم الذات).

المبحث الأول: مقام السرد / مقام الكتابة

المبحث الثاني: تلوّنات محكي الحياة

التمهيد: فاضل محمد عبد الله (عندما تتكلم الذات)

ولد الكاتب والقاص فاضل محمد عبد الله في مدينة الموصل عام ١٩٣٣ ، في محلة (حمام المنقوشة) قرب الجامع النوري الكبير، ولقب بالشكري حسب مهنة والده، وبالنعمي بحسب انتمامه العسائري، إلا أنه يفضل الاسم الثلاثي بلا ألقاب. تلقى تعليمه الأولى في الموصل وأكمل الدورة التربوية فيها التي تخرج معلمين للمدارس الابتدائية، عين معلما في كركوك في مدرسة (غريب) الابتدائية عام ١٩٥٩ ، ثم انتقل إلى الموصل عام ١٩٦٠ ، وظل ينتقل من مدرسة إلى أخرى حتى أصبح معلينا لمدير مدرسة المنذرية الابتدائية ، ثم مديرًا لمدرسة الوطن الابتدائية، التحق بعدها بكلية الإدراة والاقتصاد في الموصل وكانت تابعة آنذاك للجامعة المستنصرية ليكمل دراسته في عام ١٩٧٠ ، وحصل على بكالوريوس اقتصاد عام ١٩٧٤. تفرغ بعدها للعمل في برنامج محو الأمية خلال المدة من ١٩٧٤ وحتى ١٩٨٦، حتى شغل منصب سكرتارية الحملة الوطنية لمحو الأمية، كما تفرغ للعمل في نقابة المعلمين مدة عشر سنوات، كتب الشكري العديد من القصص ، والمسرحيات ، والمقالات الأدبية والتربوية والاقتصادية، أثناء عمله في نقابة المعلمين وبالاشتراك مع بعض أساتذة جامعة الموصل. وله الفضل في تشجيع المسرح المدرسي، فقدمت له مسرحية (تاجر في المدينة) على مسرح الإعدادية المركزية سنة ١٩٧٤ والتي أخرجها عصام عبد الرحمن، وقدمت له مسرحية (الأب الثاني) من على مسرح الإعدادية المركزية في كركوك.

كتب القصة القصيرة وبرزت أولى كتاباته عام ١٩٥٥ حيث نشرت له جريدة فتى العراق مقالة (أين السعادة) ثم توالت كتاباته في القصة والمقالة، فكتب أول قصة نشرت له في جريدة فتى العراق وهي (الله أكبر) عام ١٩٥٦ ، و(ورقة يانصيب) عام ١٩٥٧ ، و(ليلة في الجزائر) عام ١٩٥٨ ، وكتب قصصاً شعبية نشرت له في مجلة التراث الشعبي العراقية منها (الأبله والبانجان) و(باسم الرب) و (بنت السلطان)، (الوصايا الثلاث) وقصص أخرى.^(١)

نشر أول مسرحية عام ١٩٧١ وكان يقدمها للنشاط المدرسي في نينوى ، وقد مثلت مسرحياته في نينوى وكركوك وبغداد وعرضت له أكثر من أربع مسرحيات في تلفزيون الموصل مابين ١٩٧١-١٩٧٤ منها مسرحية (عمر بن عبد العزيز) التي أخرجها الفنان عصام عبد الرحمن مع فرقة الرواد وقدمها التلفزيون ضمن برنامج أين الحل؟. كما قدم له التلفزيون مسرحية (حكاية مواطن) والتي أخرجها الفنان حكمت الكلو. وأن بعضاً من مسرحياته قد نشرت في أماكن عديدة ولديه الآن قرابة (٢٠) مسرحية مخطوطة، ويفينا أن دوره في رفد الحركة المسرحية العراقية المعاصرة معروف من لدن كتاب المسرح والمهتمين بتدوين تاريخه.... وقد حظي الأستاذ فاضل بالتكريم عدة مرات. كما أن إسهاماته في كتابة القصة القصيرة موثقة، ومن يرجع إلى أعداد صحف

ومجلات (الفكاهة) و(العاملون في النفط) و(الرسالة) و(الشباب) و(فتي العراق) و(الاشتراكي) و(النبراس) و(الربيع) عبر السنوات الممتدة من ١٩٥٥ سيجد الكثير من نتاجات هذا الرجل...المتواضع والجاد والمخلص لمدينته المحب لها، ومازال الرجل مستمرا بالكتابة لحد الآن في الصحف والمجلات العراقية والعربية ،على الرغم من كبر سنه، أطال الله في عمره، ولا أدرى لماذا أغفل ذكره أستاذنا الدكتور عمر الطالب (رحمه الله) في موسوعته (أعلام الموصل في القرن العشرين) وتعود مجموعة (ذاكرة محلة) موضوع الدراسة آخر إصداراته الفصصية عام ٢٠٠٨ عن إتحاد أدباء نينوى.

المبحث الأول : مقام السرد/ مقام الكتابة

هل يمكن أن نعد السيرة الذاتية جنساً أدبياً مستقلاً وقائماً بذاته؟ وقد يدعم السؤال مشروعيته عندما نتأمل خانة الأشكال ذات العائلة الأجناسية الواحدة فيصعب التمييز العلمي المقنع والهائلي بين السيرة الذاتية والمذكرات وبينها وبين السيرة والرواية الشخصية وقصيدة السيرة الذاتية واليوميات الخاصة والرسم الذاتي أو المقالة فضلاً عن علاقة السيرة الذاتية بالرواية، فقد نجد عنصراً مفارقاً في علاقة هذا الشكل بالشكل الآخر ولكن الحدود الفاصلة قد لا تبدو مطلقة ونهائية بقطع النظر عن النظريّة التي تبيح التداخل بين الأجناس الأدبية وتشكّك في الحدود الفاصلة بينها.

و مع ذلك سعى منظرو الأدب إلى رسم هذه الحدود الفاصلة بين السيرة الذاتية والأجناس السردية القريبة منها ولعلّ أوضح هذه الأجناس قربى ما يعرف بالمذكرات فكثيراً ما استعمل هذا المصطلح بمعنى السيرة الذاتية وكثيراً ما وُسّحت كتب السيرة الذاتية بعبارة "مذكرات" وبها تعقد مع المتنقي ميثاق قراءة ولكنه ميثاق زائف لأنَّ الحد الفاصل بين السيرة الذاتية والمذكرات قائم. فالسيرة الذاتية، على خلاف المذكرات تروي أحداثاً شخصية وتتأتى عن سرد الأحداث العامة في حين ترکز المذكرات عادة على تدوين الأحداث دون التعليق على الحياة الشخصية لكاتب المذكرات.^(٢)

و يُخذل التعامل مع الزمان المروي معياراً للفصل بين السيرة الذاتية واليوميات. فالسيرة الذاتية وهي أعرق من اليوميات الخاصة ترتبط أحياناً كثيرة بفترة محدودة من حياة الكاتب في حين تتصل اليوميات الخاصة بالماضي القريب. ولئن سلك الجنسان اتجاهها زمنياً واحداً ينطلقان من الحاضر إلى الماضي ومن لحظة الكتابة إلى لحظة التجربة فإنَّ المساحة الزمنية التي تفصل بين زمن الكتابة وزمن التجربة تكون في السيرة الذاتية أوسع منها في اليوميات. كما يعدُّ التعامل مع المرجع ووجهها من وجوه الاختلاف بين الجنسين الأدبيين، فالإحالات المرجعية في اليوميات تمثّل بالدقة نظراً لقرب لحظة التدوين من لحظة التجربة في حين تعرّض الإحالات المرجعية في السيرة الذاتية إلى

السيرة الذاتية في مجموعة ذاكرة محله للقاص فاضل محمد عبد الله

ضرب من التشويش والاضطراب فلا سلاح لكاتب السيرة الذاتية سوى ذاكرته والذاكرة معرضة لافة النّسوان وهو "غربال لا يمرّ من تقوبه إلا ما هو جوهري" على حدّ تعبير (جوليان جرين) و تختلف السيرة الذاتية عن السيرة في أكثر من وجه. فموضوع السيرة الذاتية وكتابها لا يزال على قيد الحياة يظلّ مطروحا في حين يحسم كاتب السيرة في موضوعه ويقول الكلمة الفصل كما تنسّم كتابة السيرة بنزعة تاريخية لا تخلي من موضوعية لأنّ المواد التي يستعملها كاتب السيرة شأنها شأن المواد التي يستعملها المؤرّخ منفصلة عن الذات الكاتبة في حين يمتح كاتب السيرة الذاتية من ينبوّعه الذاتي والشخصي المتمثّل في ذكرياته الخاصة فتجيء الكتابة مغرقة في "الآن" سابحة في الذات لا معيار موضوعيّاً للنظر في مصادفيتها وصحتها وذلك لاختلاف الغاية التي يسعى كلا الجنسين الأدبيين إلى تحقيقها. فإذا كان كاتب السيرة الذاتية يرغب في الانتصار على الموت إذ هو يسعى إلى توثيق حياته الماضية وإخراجها من الإهمال والنّسوان، فإنّ كاتب السيرة يؤكّد فعلاً أنه استطاع أن يغلب الموت، فهو عندما يدون حياة شخصية أدبية أو فكريّة أو سياسية يقدم الدليل القاطع على أنّ ذكرى تلك الحياة التي عاشها قد استمرّت بعد فناء الجسد، فضلاً عن أنّ كاتب السيرة وهو يكتب سيرته يظلّ منسجماً انسجاماً فكريّاً كاملاً إذ لا يعيش الإشكالية الزمنيّة الحادة التي يتعرّض لها كاتب السيرة الذاتية، ذلك أنّ كاتب السيرة الذاتية وهو يكتب يظلّ يسبح عكس مجرى حياته إذ يعود إلى الماضي البعيد وأمواج الحاضر المتلاطم تعرّض سبيله في حين يظلّ كاتب السيرة قادرًا على ترتيب حياة صاحب السيرة ويخضعها لمعايير موضوعية تفصل بين المراحل وتزير المواجهة بين الماضي والحاضر. تتألّى كلّ الإشكاليات والقضايا التي تطرحها السيرة الذاتية بوصفها جنساً قائماً بذاته ذا إنسانية خاصة من حداثة هذا الجنس في الأدب العالمي. فهو بوصفه جنساً سرديّاً قد ظهر بعد الرواية وبالنّالي قد أفاد من إنجازات الرواية الفنية إفاده كبيرة مما أحدث تداخلاً بين الجنسين بل قلّ إلهه الالتباس لدى بعض كتاب السيرة الذاتية وهو كذلك جنس أدبيّ ارتبط بالثقافة الغربية، بل قلّ إلهه نتاجها وثمرتها على الرغم من التّصوّص التّراثيّ التي يشير إليها بعض الدارسين العرب بحثاً عن أصول عربية لهذا الجنس الأدبي المستحدث.^(٣)

بيد أنّ تاريخ السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث لا يختلف عن تاريخ الأجناس السردية الأخرى شأن الرواية والقصة القصيرة، فهي جنس مستحدث ظهر بعد الرواية ونتج عن عامل المثقفة بحكم العلاقة الوطيدة بين الثقافة الأوروبيّة والثقافة العربيّة.^(٤)

لذا فإنّ السيرة الذاتية عند العرب ظلت تسبح في تقاليد الكتابة الأدبية فمن حسن حظها أنّ أشهر كتابها من الأدباء قصّاصين وروائيين وشّعراً. (طه حسين - العقاد - المازني - نعيمة.....) وقلائل أولئك الذين كتبوا سيرهم الذاتية وهم من غير أهل الأدب.^(٥) وهذا يُوضح لنا أنّ نصوص

التأسيس عامة تعددت فيها المشارب و اختفت الأساليب فأضحي من الصعب أن نتحدث عن شكل قار ونهائي في السيرة الذاتية وبالتالي يظل السؤال الجوهرى قائما: هل يمكن الحديث في النصوص التي تأخذ من الحياة الشخصية لمؤلفيها موضوعا لها و مرويّا أساسيا عن جنس أدبي متميّز قائم بذاته نسميه سيرة ذاتية؟ أم أنّ الأمر لا يعود أن يكون شكلا من أشكال التعبير يأخذ من أجناس الحكى المختلفة وهو لا يقوم بذاته.

و مما تقدّم نستنتج أنّ هذه النصوص التأسيسية الأولى كانت متّوّعة في أساليبها ومختلفة في طرقها، فلئن جمع بينهما هدف واحد وهو الإحساس في لحظة من لحظات العمر بوطأة الزّمن وبضرورة تسجيل مرحلة من مراحل الحياة تأكيدا للذّات ودفعا لشبح الموت وتتويجا لرحلة عمر أو قولا حاسما في بعض الآراء الجدالية التي واجهت هذا الكاتب أو ذاك في حياته السابقة فإنّها لم تعرّض على اللاحقين شكلا نهائيا واضح المعالم . و هكذا تتحول السيرة الذاتية إلى فنّ أدبي بدأ يؤسّس تقاليده الأدبية ويرسم صوره البلاغية لتشدّ الكتابة الجديدة وتضفي عليها ظلالها.^(٦)

بيد أنّ السيرة الذاتية على الرغم من إغرافها في الذّات تكتب، شأنها شأن الأدب والفن عموما، في مناخ موضوعي وإطار اجتماعي وثقافي مخصوص لذا نجد في المجتمع والثقافة مبرّرات كثيرة لنشوئها وظهورها للناس في فترة زمنية محدّدة. فهي في أغلب الأحيان تجيب عن سؤال يعتقد المؤلّف أنه مطروق في ذهن القارئ يتعلّق ببعض مظاهر حياته أو بعض مواقفه في المجتمع أو تردد مباشرة لتبرّر بعض المواقف التي اتّخذها المؤلّف ولم تفهم فهما جيّدا أو لتصفيّ بعض الحسابات في إطار الجدل التّقافي أو الصراع الفكري في المرحلة التي عاشها المؤلّف وكان فيها طرفا من أطراف الجدل أو الصراع. ولذلك لا نستطيع أن نفهم السيرة الذاتية التي كتبها طه حسين خارج هذا السياق. لا شكّ أنّ الدّوافع والأسباب كثيرة ولكن من هذه الدّوافع والأسباب ما يكون أكثر تأثيرا في توجيه كتابة السيرة الذاتية وأكثر دلالة ترتبط بظهورها ونشأتها.^(٧)

إنّ السيرة الذاتية ليست إلا شكلا من أشكال السّرد. وكلّ أشكال السّرد، للسيرة الذاتية مؤلّف يكتبها وساردها وقارئ فضولي يقرؤها. ثمة مقام سرديّ ومقام كتابي وما تتميّز به السيرة الذاتية هو هذا الالتباس القائم بين المقامين. فالسارد نظرياً ليس كائنا ورقياً من صنع المؤلّف بل كائن أسطولوجي حقيقي هو المؤلّف ذاته والقارئ ليس قارئا مفترضا يخاطبه السارد بل هو قارئ حقيقي يخاطبه المؤلّف يبرّر له حياته كما أسلفنا أو يعرض عليه شهادة أو يعترف له بأخطاء كان قد اقترفها في حياته الخاصة. ولكن هذا المؤلّف يتحول إلى سارد لأنّه سيخضع مروياته لمقتضيات الفن والكتابة حتّى يصل إلى مخاطبه وبالتالي فتحن في السيرة الذاتية إزاء مقامين متطابقين: مقام السّرد ومقام الكتابة.^(٨)

السيرة الذاتية في مجموعة ذاكرة محلة للقاص فاضل محمد عبد الله

في مجموعة (ذاكرة محلة) يتجلّى ملياً المقامين (السرد/الكتابة) فالكاتب يتحول إلى سارد يعرض لنا مروياته عن الحياة مستعيناً بذكريات أسمها ذاكرة محلة والتي تعبر بالضرورة عن ذكرياته، فذاكرة المحلة هي معادل موضوعي لذكرتـه، وقد أطلق فاضل عبد الله هذا العنوان وأراد به ذلك الموقع من الذاكرة التي تجمعت فيها أولى التجارب والرؤى والأصوات، أولى الأفراح والأحزان والأشواق والمخاوف وهنا يجعل من الذاكرة للمحلـة التي يحفظ فيها تجاربـه الأولى، تجاربـ الطفولة التي هي أكثر من حصيلة ذكريات خاصة فهو يدرك أن الأصول الحقيقة للأشياء تعود إلى التجارب الأولى في الحياة، فمن قصة (سلطان المنوي يتحدى) إذ يقول : "أنت لا تعرفون سلطان المنوي كما أعرفه"^(٩)

حيث أنسد لنفسه بأنه يعرفه أكثر من غيره وبأنه قد عاش معه كل تقلباتـه في الحياة من رافع أقالـ إلى لاعـبـ كـرة قـدم اـنـتـهـاء بـيـقـالـ بـيـعـ بـالـأـجـلـ لـأـبـنـاءـ المـحـلـةـ ، فـمـتـحـدـيـاـ أـرـادـ أـنـ يـخـرـجـ الرـعـبـ منـ قـلـوبـ أـهـلـ المـدـيـنـةـ، فـيـقـدـمـ لـنـاـ الـكـاتـبـ فـيـ هـذـهـ القـصـةـ الـصـرـاعـ بـيـنـ إـرـادـتـيـنـ (ـالـخـيـرـ /ـ الشـرـ)ـ مـسـتـعـنـاـ بـالـمـقـامـ السـرـدـيـ لـزـمـنـ الـحـدـثـ وـلـحـظـةـ الـكـتـابـةـ .

وفي قصة (حصوة جلال) يقدم لنا الكاتب هذه الشخصية التي نسمع عنها كثيراً في مجتمعنا الموصلي وكأنها تعيش بيننا بواقعية تخيلية " جلال رجل مسكين مسالم، بعضهم يقول عنه أنه مجنون والبعض يقول أنه جذيب من أهل الله لدـيه حصـوةـ شـكـلـهـ بـيـضـوـيـ وـحـجـمـهـ رـبـماـ ضـفـ حـجـمـ الـبـيـضـةـ، وـلـونـهـ غـرـبـ لـاـتـدـريـ هـلـ هـوـ أـسـوـدـ مـرـقـطـ بـالـأـبـيـضـ أـمـ العـكـسـ هـوـ الصـحـيـ"^(١٠) إن هذه الشخصية يصفـهاـ لـنـاـ وـكـأـنـهـ قـدـ عـاـشـ تـقـاصـيـلـهـ ماـ يـجـعـلـنـاـ أـمـامـ وـهـمـ سـرـدـيـ كـبـيرـ بـيـنـ لـحـظـةـ الـكـتـابـةـ وـالـرـوـيـ ، يـنـعـكـسـ هـذـاـ الـالـتـبـاسـ بـيـنـ مـقـامـ السـرـدـ وـمـقـامـ الـكـتـابـةـ فـيـ السـيـرـةـ الذـاتـيـةـ عـلـىـ وـضـعـ المـسـرـوـدـ لـهـ. عـنـدـمـاـ يـخـاطـبـ السـارـدـ مـسـرـوـدـاـ لـهـ دـاـخـلـ الـتـجـرـبـةـ يـتـمـثـلـ فـيـ شـخـصـ جـلـالـ الـتـيـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـ: فـحـنـ إـذـنـ إـزـاءـ مـقـامـينـ سـرـدـيـنـ ظـاهـرـيـنـ: مـقـامـ مـرـكـزـيـ قـوـامـهـ الـمـؤـلـفـ سـارـدـاـ وـالـمـسـرـوـدـ لـهـ هـذـاـ الـقـارـئـ الـحـقـيـقيـ أـيـ الرـأـيـ الـعـامـ الـتـقـافـيـ الـذـيـ إـلـيـهـ يـتـوـجـهـ الـمـؤـلـفـ لـيـرـرـ لـهـ حـيـاتـهـ وـمـوـاـفـهـ وـدـاـخـلـ هـذـاـ الـمـقـامـ ثـمـةـ مـقـامـ ثـانـيـ قـوـامـهـ السـارـدـ وـنـحـنـ مـسـرـوـدـاـلـهـ.

تخلو بقية نصوص المؤلف من هذا الالتباس الذي أشرنا إليه. ثـمـةـ دائـمـاـ مـقـامـ سـرـدـيـ رـئـيـسيـ وـهـوـ فـيـ حـقـيـقـةـ الـأـمـرـ مـطـابـقـ لـمـقـامـ الـكـتـابـةـ، السـارـدـ يـسـرـدـ وـيـرـوـيـ بـلـسـانـ الـمـؤـلـفـ وـالـمـسـرـوـدـ لـهـ قـارـئـ مـفـرـضـ يـتـطـابـقـ أـيـضـاـ مـعـ الـقـارـئـ الـحـقـيـقيـ. وـثـمـةـ دائـمـاـ دـاـخـلـ هـذـاـ الـمـقـامـ السـرـدـيـ مـجـمـوـعـةـ مـقـامـاتـ الـدـاـخـلـيـةـ الـتـيـ يـصـعـبـ حـصـرـهـاـ حـصـرـاـ عـلـمـيـاـ دـقـيـقاـ. بـيـدـ أـنـ هـذـهـ الـمـقـامـاتـ تـثـيـرـ إـشـكـالـاـ عـنـدـمـاـ تـتـعـلـقـ بـتـطـوـرـ الـحـيـاةـ الـخـاصـةـ الـتـيـ يـرـوـيـهـاـ السـارـدـ. فـيـ قـصـةـ (ـالـبـئـرـ)ـ نـجـدـ أـنـ الـكـاتـبـ حـاـضـرـ فـيـهـاـ كـلـيـاـ وـتـحـدـثـ عـنـ ذـاتـهـ أـيـ (ـسـرـدـ الـذـاـكـرـةـ)ـ فـيـقـولـ: "ـمـاـ كـانـ فـيـ ذـهـنـيـ يـوـمـاـ أـنـ أـقـومـ بـحـفـرـ بـئـرـ لـكـنـهـ حـصـلـ، حـيـنـماـ تـخـرـجـتـ مـعـلـمـاـ عـيـنـتـ فـيـ قـرـيـةـ نـائـيـةـ فـيـ مـحـافـظـةـ الـتـأـمـيمـ تـبـعـدـ عـنـ كـرـكـوكـ بـمـاـ يـزـيدـ عـنـ ثـلـاثـ سـاعـاتـ

في السيارة، كانت القرية التي عينت فيها غريبة واسمها (غريب) وهي غريبة في طولها^(١١) إن السيرة الذاتية لأكثر من سبب ليست تاريخاً لحياة يسعى مؤلفها إلى أن يكون موضوعياً ومحايداً. إنها إعادة قراءة لسجل حياة لم تبق منها إلا الذكريات. إن فعل السرد (أن أقوم بحفر بئر) هو فعل تذكر مرتهن بلحظة الكتابة وهي لحظة مرتهنة كذلك بأسبابها وظروفها ومبرراتها، فلا يكتب المرء سيرته الذاتية إلا عندما يكون في حاجة أكيدة إليها حتى وإن كان من أكبر المشاهير. فعین السارد دائماً في هذا الضرب من الكتابة هي عين مودجة لأنها ترى من موقع متطلبات اللحظة ورهاناتها وهي تلتقي إلى الماضي من موقع حاجات الحاضر ومبرراتها ثم فوق هذا كلّه لا يكتب المرء سيرته الذاتية إلا في مرحلة قد اكتسب فيها وعيًا غير الوعي الذي كان عنده عندما كان طفلاً وأمثالك ثقافة لم تكن لديه عندما كان في بداية شبابه وبالتالي ستختلف حتماً رؤية السارد عن رؤية الشخصية موضوع السرد.

المبحث الثاني: تلوّنات محكي الحياة

المحكي / السير الذاتي / الشخصي أو محكي الحياة أسماء لسمى يكاد يكون واحداً، عرف نجاحاً كبيراً في جميع صيغه وصوره. إنه جنس واسع وشامل، إن أول تصنيف له يسمح لنا بالتمييز بين شكلين اثنين رئيسيين^(١٢)

- الشكل الذي تتم فيه إعادة إحياء الواقع أو خلق التخييلي.

- العلاقة التي تتشكل بين الكاتب والسارد والشخصية والواقعي أو التخييلي.

هناك عينات من المحكيات التي نسميها محكيات وقائية، وهي محكيات تزعم القدرة على التعبير عن الواقع: إذ نصادف فيها شخصاً عاشت فعلاً، أو أحداثاً وقعت. فهي تعكس شكلًا من أشكال "إرادة الحقيقة". وهناك محكيات نسميها تخيلية تقدم لنا حيوانات تخيلية. والأمر يتعلق بعدة أمور:^(١٣)

- فإذاً أن شخصها لم توجد أبداً.

- وإنما أن أحداثها لم تقع أبداً.

- وإنما أن ملحمها تخيلي بشكل جزئي (شبه تخيلي).

- وإنما أن الكاتب ألف سيرة شخصية واقعية ثم أنسن إليها أفعالاً تخيلية

- وإنما أن هذا الكاتب، وفي إطار الأحداث الواقعية، ابتدع شخصية تخيلية.

وفي كل هذه الحالات والأشكال، فإن ما يشغل بال الكاتب مبدأ التشابه لأنه قادر على خلق الإيهام بالواقع، العلاقة بين الكاتب والسارد والشخصية المحورية يمكننا هذا المعيار من التمييز بين ثلاثة عائلات كبرى لمحكي الحياة:^(١٤)

السيرة الذاتية في مجموعة ذاكرة محلة للقصص فاضل محمد عبد الله

- إن تدوين الشهادة الشفوية شكل من أشكال محكي الحياة حيث يسجل الكاتب كلام طرف آخر؛ ثم يمؤلف، بعد ذلك، نصوصاً تبني هذا الكلام خلال الحوار (الكاتب - السارد - الشخصية).
- البيوغرافيا (السيرة) بضمير الغائب التي تعمل على إعادة تشكيل تاريخ شخصية أخرى حيث لا يكون الكاتب الشخصية الرئيسية. فهو يحكى على طريقة المؤرخ (الكاتب - السارد - الشخصية).
- (السيرة الذاتية) وهي محكي استيعادي يستند فيه شخص واقعي على وجوده حينما يركز على حياته الفردية أو تاريخه الشخصي بخاصة: الكاتب = السارد = الشخصية إن (الآنا)، وهي تتأمل نفسها، تأخذ مسافة من ذاتها، وتشرع في الشرح والتفسير، وبذلك يتطابق حكي الأحداث مع تحليلها، مع ما يصاحب ذلك من بروز تفاوت بين زمنين: زمن الأحداث وزمن الكتابة.

ففي قصة (اللعبة الجديدة) يوهما الكاتب بين زمنين: زمن الكتابة وزمن الحدث، فعندما يقول: "كل عام كنت أنتظر بصر حلول العطلة الصيفية فانا على موعد مع قريب لي يأتينا من بعيد، بعد أن ينال أمه نتيجته الامتحانية ونتائج متقدمة في دروسه. وهديتها له إرساله الى بيتنا شهراً كاملاً، أو عيداً كاملاً لكلينا" (١٥)

إن السارد في هذه المقطوعة السردية مختلف عن الشخص المتحدث عنه في ظاهر الأمر، إنما هو شخص واحد في باطن الأمر إذ يقوم بوظيفتين: فهو يعيش الحدث فيكون شخصية قصصية وهو يسرد ما عاشه فيقطع بوظيفة القص، فالتطابق في هذا الباب يتم بطريقة غير مباشرة. ولا تختلف السيرة الذاتية بوصفها نصاً حكائياً عن غيرها من الأنواع الأدبية في تعددية استعمال الضمائر في السرد فهي قد تروي بضمير المتكلم المفرد أو أن الرواية يتوجه بالخطاب إلى ضمير المخاطب المفرد أو أن يتحدث عن البطل بضمير الغائب المفرد. أن لعبة النسيان ومثل صيف لن يتكرر تعمل على تكييف الواقعي بالتخيلي دون اهتمام بصدقية الأحداث أو سلامتها التوثيقية الأمر الذي رأى فيه الباحث تحويلاً لمسار الأحداث من صورتها الواقعية إلى صورتها التخيلية الأدبية. ولا تختلف ، في هذا الأمر ، (ذاكرة محلة) التي تعد شكلًا سرديًا يتألف فيه الواقعي والتخيلي ، دومًا لصالح انزياح مقصود للسيري على التخييلي.

ففي قصة (الخائب) يظهر هذا التالف جلياً بين الواقعي والتخيلي عند قوله : "تئاب الليل، راح البدر يداعب تجمعات النجوم هنا وهناك يختفي ثم يظهر كعذراء تتلاصص وجهه محبوبها تدفعها الرغبة، ويردها الخجل .. شعرت أن البدر يبتسم من يدرى؟ ربما هو الآخر يستهزئ بي،

كل شيء جائز في وقت ضاعت فيه المقاييس الخيرة^(١٦) في هذه المقطوعة السردية نرى أن الكاتب قد تعمد أن يخاطبنا بهذا الخطاب التخييلي حين أضفى على الليل الصفة الإنسانية جاعلا منه يتئاب ربما للدلالة على طول انتظاره للعمل كما سنتابع ذلك في مجل أحداث القصة، وجعل البدر يداعب تجمعات النجوم مداعبة تدفعها الرغبة ويصدها الخجل، ووجدنا بأنه يتوارى خلف البدر، من شدة خجله أثناء بحثه عن العمل لأنه أراد الحصول على العمل دونما واسطة "أريد عملا لا أريق به ماء وجهي .. أريده دون وساطة .."^(١٧)

يبدو لنا من خلال الصوت المهيمن للسارد هو في الآن نفسه فاعل ذاتي يوجه الأحداث ويرسم المسارات والمصائر، إنه النص الذي تتضح منه الأزمات وتنقشى لتعكس رؤية مأساوية للماضي والحاضر.

نتائج البحث:

- ظهر صوت السارد متألفا مع صوت الكاتب في مواضع كثيرة ومع الشخصيات التي تعامل معها، وبالأحداث التي تمر بها وقد كان همه هما جماعيا متصلة بالقضايا الاجتماعية التي طرحتها .

- لجا الكاتب في سيرته إلى أسلوب سردي بسيط ، مما جعلها أشبه بحكاية ممتددة، رغبة منه في أن تصل إلى جمهور كبير متنوع .

- اتسمت شخصية المؤلف كما تظهر في سيرته بالتواضع ، والزهد ، والحياء ، وهذه السمات هي ثمرة حياته وعمله في السلك التعليمي التربوي ، فقد بقي متمسكا بكثير من القيم والأخلاق على امتداد سيرته.

- استعان الكاتب بالعناصر الفنية لل قالب القصصي ، كالتصوير ، والتشخيص ، وأفاد من الأسلوب التقريري الإخباري الذي يصور الحقيقة كما هي .

- جعل من المحلة ذاكرة يحفظ فيها تجاربها الأولى ، تجارب الطفولة التي هي أكثر من حصيلة ذكريات خاصة فهو يدرك أن الأصول الحقيقة للأشياء تعود إلى التجارب الأولى في الحياة.

أولاً: المصادر.

- ذاكرة محلة/ فاضل محمد عبد الله/ إتحاد أدباء وكتاب نينوى/ الموصل/ ٢٠٠٨.

ثانياً: المراجع.

- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث/ يحيى إبراهيم عبد الدائم/ دار النهضة العربية للطباعة والنشر/ بيروت/ ١٩٧٤.

- سيرة الغائب، سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين/ شكري المبخوت/ دار الجنوب للنشر/ تونس/ ١٩٩٢.

- السيرة الذاتية/ جورج ماي/ تعریب: عبد الله صولة و محمد القاضی/ بيت الحكمه/ ١٩٩٢

- السيرة: تاريخ وفن/ ماهر حسن فهمي/ مكتبة النهضة المصرية/ ط١/ القاهرة/ ١٩٧٠.

- شخصيات موصلية/ إبراهيم خليل العلاف/ مكتبة الجيل العربي/ الموصل/ ٢٠٠٨.

- عندما تتكلم الذات: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث/ محمد الباردي/ منشورات إتحاد الكتاب العرب/ دمشق/ ٢٠٠٥

- فن السيرة الأدبية/ ليون آيدل/ ترجمة: صدقى خطاب/ مؤسسة الحلبي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر/ القاهرة - نيويورك/ ١٩٧٣.

ثالثاً: الدوريات.

- أنساق الميثاق الأوطبوبيوغرافي: السيرة الذاتية بالمغرب أنموذجاً/ حسن بحراوي/ مجلة آفاق المغرب/ ع٤-٣/ ١٩٨٤.

- الذات ممحوّة بالكتابة: عن السيرة الذاتية نوعاً أدبياً/ حاتم الصكر/ مجلة آفاق عربية/ بغداد/ ع٢/ ١٩٩١.

- السيرة الذاتية في الأدب العربي: حدود الجنس وإشكالياته/ محمد الباردي/ مجلة فصول/ القاهرة/ المجلد ١٦ / العدد ٣ / لسنة ١٩٩٧.

- (١) شخصيات موصلية/ابراهيم خليل العلاف . ٢٢٣-٢٢١ .
- (٢) السيرة الذاتية/جورج ماي . ١٥ .
- (٣) السيرة: تاريخ وفن / ماهر حسن فهمي / ٢٤ .
- (٤) السيرة الذاتية في الأدب العربي : حدود الجنس ، إشكالاته/محمد الباردي ١٦٠: .
- (٥) سيرة الغائب ، سيرة الآتي : السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين / ١٤ .
- (٦) الذات ممحوّة بالكتابة : عن السيرة الذاتية نوعاً أدبياً / حاتم الصقر / ٤٦ .
- (٧) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث/ يحيى ابراهيم عبد الدائم/ ٣٢ .
- (٨) عندما تتكلّم الذات / محمد الباردي / ٧٠ .
- (٩) ذاكرة محلّة / فاضل محمد عبد الله / ١ .
- (١٠) م. ن / ١٥ .
- (١١) ذاكرة محلّة: ٥٩ .
- (١٢) فن السيرة الأدبية / ليون أيدل / ٢٢ .
- (١٣) أنساق الميثاق الأوطني وغرافي: السيرة الذاتية بالمغرب أنموذجاً / ٤١ .
- (١٤) سيرة الغائب ، سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين/ ١٣/ .
- (١٥) ذاكرة محلّة/ ١٠/ .
- (١٦) م. ن / ٢٥ .
- (١٧) ذاكرة محلّة/ ٢٦ .